



A Semiotic Exploration of Poetic Discourse: An Analysis of “Madinat al-Sandbad” [In Arabic]

Azadeh Ghaderi ^{*1} , Reza Mohammadi ²

¹ Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities, Shahid Bahonar University of Kerman, Kerman, Iran

² Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities, Vali-e Asr University - Rafsanjan, Kerman, Iran



*Corresponding author: a.ghaderi@uk.ac.ir



Received: 06 May, 2024 Revised: 15 Aug, 2024 Accepted: 22 Aug, 2024

ABSTRACT

The semiotic approach to literature entails deciphering a literary work through its embedded signs, wherein the language of poetry constructs a sign system, with each sign comprising an indivisible duality: the signifier and the signified. This analytical framework originates from the intellectual contributions of figures such as Charles Sanders Peirce, an American philosopher, and Ferdinand de Saussure, a Swiss linguist. Semiotic linguistic studies endeavor to dissect and fathom the multifaceted layers of language, unearthing the latent content within. These studies delve into the dynamics between signifiers and signifieds as they manifest across diverse sign systems. The current analysis scrutinizes Badr Shakir al-Sayyab's poem “Madinat al-Sandbad” through a semiotic lens, concentrating on its title, musicality, language, and structure. The objective is to elucidate the signifiers and signifieds within the poem, thereby exposing the underlying social and political nuances concealed within its innovative poetic framework. The poet employs a repertoire of signs to communicate with the reader, signs that transcend their literal interpretations and imbue the text with novel significance. Interpretive analysis allows for the identification of signs at various levels, including the title, sound, word choice, and structure. The semiotic examination of the title suggests that the poem metaphorically references Baghdad, employing ambiguous language to evade the scrutiny of authorities. Through an exploratory reading, the reader can glean insights into the societal milieu of al-Sayyab's era from the poem's overt discourse, replete with themes of sorrow, despair, and hopelessness, despite occasional semantic dissonance within certain phrases. The linguistic elements of the poem serve as a unique set of signs that subtly convey meaning. On a grammatical level, the signs within sentences and phrases diverge from their conventional meanings, a phenomenon facilitated by the axes of substitution and addition, which collectively articulate the text's intrinsic meaning.

[Downloaded from jsal.ierf.ir on 2026-02-15]

[DOR: 10.1001.1.29809304.1403.7.3.1.3]

Through interpretive reading, which relies on signs and scrutinizes syntactic and rhetorical constructs, the myths and symbols encountered in exploratory reading contribute to the generation of semantic associations and intricacies within the text, ultimately captivating the reader's attention with profound meanings and signs.

Keywords: Semiotics, Contemporary Poetry, Badr Shakir al-Sayyab, Madinat al-Sandbad.

مقاربة سيميائية للخطاب الشعري: قصيدة «مدينة السندياد» نموذجاً

آزاده قادری^۱، رضا محمدی^۲

۱. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وأدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الشهيد باهنر كرمان، كرمان، إيران

۲. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وأدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ولی عصر (ع) - رفسنجان، كرمان، إيران

* الكاتبة المسئولة Email: a.ghaderi@uk.ac.ir

القبول: ۱۴۴۶/۰۲۸۷

التعديل: ۱۴۴۶/۰۲۸۰

الاستلام: ۱۴۴۵/۰۱۰۷

الملخص

السيميائية في الأدب هي فهم العمل الأدبي من خلال العلامات الموجودة فيه، وتشكل اللغة في الكلام الشعري نظام العلامات، كما أن العلامة هي اتصال جانبين لا ينفصلان عن بعضهما البعض: الدال والمدلول. انبعثت السيميائية من فكر علماء مثل الفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرز بيرس واللغوي السويسري فردينال دي سوسير. وتحاول الدراسات والأبحاث اللغوية في مجال السيميائية تحليل وفهم مستويات اللغة المختلفة والكشف عن محتواها الخفي. تدرس الدراسات السيميائية قضايا الدال والمدلول كما تظهر في أنظمة الإشارة المختلفة. يتناول البحث الحالي قصيدة "مدينة السندياد" لبدر شاکر السياب من خلال المنهج السيميائي من منظور العنوان والموسيقى واللغة والبنية. يسعى هذا البحث بالتحليل السيميائي إلى تفسير الدلالات في شعر مدينة السندياد، والذي يسعى إلى اكتشاف الجوانب الاجتماعية والسياسية الخفية في إبداع شعر مدينة السندياد. استخدم الشاعر مجموعة من الإشارات لإيصال كلامه إلى القارئ. علامات تجاوزت معناها الحرفي واتخذت معاني جديدة في اتصال كلامه إلى القارئ. علامات تجاوزت معناها الحرفي واتخذت معاني جديدة في النص. واستناداً إلى القراءة التفسيرية، يمكن التعرف على العلامات على مستويات مختلفة مثل العنوان والصوت والكلمة والبنية. وتبين سيميائية العنوان أن القصيدة تتحدث مجازاً عن بغداد وأن كلماتها غامضة بحيث لا يفهم الحكم معناها. ومن خلال القراءة الاستطلاعية يفهم القارئ أحوال مجتمع السياب من ظاهر خطاب القصيدة المليء بالحزن واليأس. مع أنه في بعض العبارات لا يوجد انسجام بين العبارات من حيث المعنى. الكلمات اللغوية في هذه القصيدة هي مجموعة خاصة من الإشارات التي تنقل المعنى بشكل غير مباشر. وعلى المستوى النحوی، تتحرف العلامات المستخدمة في الجمل والعبارات عن معانیها المرجعیة، ويتم ذلك من خلال محور الإبدال والإضافة، وكلها تعبّر عن المعنى الأصيل للنص. ومن خلال القراءة التفسيرية، والاعتماد على الإشارات، وفحص البنی النحویة والبلاغیة، تؤثر الأساطير والرموز التي تعتمد على القراءة الاستكشافية، في خلق الدلالات والتعقيبات الدلالیة في النص، وتتجذب انتباه القارئ في نهاية المطاف معنى وعلامات.

الكلمات الرئيسية: السيميائية، الشعر المعاصر، بدر شاکر السياب، مدينة السندياد.

المقدمة

يشكل الأدب وسيلة التعبير التي يامكانها التعبير عن الأوجه الجمالية الموجودة على شتى المستويات المعنوية أو اللغوية. لقد تمكّن الأدب من إضفاء التأثير والمتعمّة على القراء عن طريق العنصر الجمالي الذي حفّز إبداعهم. فالشعر شكل من أشكال العمل الأدبي ويحتل المستوى الجمالي في الأعمال الأدبية، كما أنه اللغة الخيالية الموزونة التي تعبّر عن المعنى الجديد والذوق والفكّرة والعاطفة وسر الروح البشرية. في ساحة اللغة الشعرية، تتحذّل العلامات يوماً بعد يوم بعدهاً رمزاً وتكتسب دلالات جديدة. (اسمعيل، ۱۹۹۶: ۴۵). وتستعمل العلامات اللغوية في النص بشكل جديد فتتجاوز حدّها الطبيعي والمعتاد وتدخل في حلبة الفن. مما يميّز اللغة الأدبية عن غيرها من اللغات العاديّة إحتواء اللغة الأدبية على سمات و علائم لغوية ترمي إلى دلالات ورموز معنوية طريفة، إنّ وجود هذه السمات اللغوية في اللغات الأدبية يرتقي بمستواها التعبيري ويزيد من طاقتها الإيحائية حيث يعود بإمكان القارئ فهمها و تفسيرها من منظار جديد بعد توظيفه السمات و الدلالات اللفظية التي تحفّ بالنصّ الأدبي وتنمّحه طاقة دلائليّة مخصّبة لاستنفاد حيويتها وديناميكيتها عبر القرون والأعصار و مثّله دور هام في عملية إستيعاب النصّ الأدبي إستجلاء طرائقه و جماليته والكشف عن العناصر الفنية التي أعطت على النصّ الأدبي رمزيتها وسيميائيتها؛ إذن يمكن القول بأنّ الإتجاه السيميائيّة في مطالعة النصّ الأدبي يُعدّ من أهمّ الصيغ و الآليّات اللغوية التي يستخدمها اللغويون لخرق الحواجز و التوغل في أعمق النصّ. تكون كلمة «السيميائية» من الأصل الإغريقي «semeion» الذي يعني العلامة و «logos» يعني الخطاب. وجاء معادل هذا المصطلح في الأدب العربي كـ علم الدلالة، السيميائية، الرمزية، علم الإشارات و الدلائلية (دینه سن، ۱۳۸۰: ۱۱-۱۲).

[DOR: 20.1001.1.29809304.1403.7.3.1.3]

نشأت السيميائية على يد اللغويين الشهيرين: الفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرز بيروس و العالم اللغوي السويسري فريدينان دي سوسور فإليهما يرجع فضل هذا العلم. يقول الدكتور صلاح فضل حول السيميولوجيا العلم الذي يدرس الأنّظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة. السيميائية تدرس كل شيء يدلّ على شيء آخر أو هي تدرس العلامات أي الإشارات و هي لعبة التشكّيك و التركيب و تحديد البنية العميقية الثانوية وراء البنيات السطحية المتّمثّلة فونتولوجيا دلاليّاً (فضل، ۱۹۹۸: ۴). تحاول الدراسات اللغوية والبحوث في مجال السيميولوجيا تحليل وفهم سطوح اللغة المختلفة والكشف عن مكوناتها. تبحث الدراسات السيميائية في مواضع العلاقة والمعنى كما تأتي في أنظمة العلامات المختلفة. تأسّساً على ذلك في هذه الدراسة نغور في قصيدة «مدينة

السندياد» بناءً على منهج الدراسة السيميائية في مستوى العنوان والصوت واللغة والتركيب. فهذا البحث بقصد تفسير المعنى المتصور في شعر «مدينة السندياد» بتحليل سيميائي يسعى لاكتشاف النواحي الاجتماعية والسياسية التي تكمن وراء إبداع قصيدة «مدينة السندياد».

المنهج وأسئلة البحث

يدخل بحثنا هذا في إطار الدراسات النقدية التي تحاول التعامل مع النص وجهاً لوجه من خلال معايير الدراسة السيميائية، لأن السيميائية منهج نصاني يتجاوز تلك الأطروحة البنوية التي تكتفي بتصنيف المكونات الصافية وإحصائها وبيان نظام العلاقات الرابط بينها إلى الغوص في أعمق النص الدلالية وتتيح للقارئ إمكانية إنتاج النص من الجديد. يمثل هذا البحث دراسة تقوم على أساس التحليل السيميائي لقصيدة «مدينة السندياد»، لبدر شاكر السياب على أساس المنهج الوصفي - التحليلي، بغية تتبع علامات المعنى العميق ومحاولة الكشف عن أحوجة الأسئلة التالية:

- على أي مستوى من الشعر يمكن دراسة الأسس والمبادئ السيميائية؟
- هل يمكن فهم دلالة المعنى والبنية العميقية لقصيدة مدينة السندياد بهذا المنهج؟

خلفية البحث

تناولت السيميائية بحوث منها: «دراسة سيميائية في قصيدة «كلمات للوطن» لتفويق زياد على ضوء نظرية بيرس (١٣٩٨)» بقلم بيراني شال وآخرين، قام المؤلفون باستخدام نظرية بيرس لتبين العلامات التي استعان بها الشاعر لإسباغ الجمالية على شعره وتشير هذه الدراسة إلى أن هوية الشعر المقاومة الذي تفرزه الظروف القمع تظهر فيه العلامات بصورة رمزية و «سيميائية العنوان في شعر محمد عفيفي مطر؛ دراسة في الوظائف والمستويات» (٢٠٢٠) دراسة كتبها حامد بورحشمتى و شهريار همتى فتحاول هذه الدراسة ياتيّ بها النهج السيميائي أن تتناول أهمّ وظائف العنوان ومستوياته السيميائية الشائعة في شعره. يدلّ مجمل حصيلتها على أنّ الشاعر يجعل معظم تركيزه في تعين العناوين الرئيسة والفرعية على وحدة وسلسلة متزايدة شكلياً كما يسعى أن يراعي هذا التناسب في العديد من العناوين مع نصوصها مضمونياً ودلالياً. مقالة «سيميائية اللون في شعر الماغوط» (١٣٩٥) لتسير جريكورس و فادي سليمان نشرت في مجلة دراسات في اللغة العربية وأدابها بجامعة سمنان حيث دُرس فيها أهم الدلالات والإيحاءات للألوان في لوحات الماغوط الشعرية. أما بالنسبة إلى بدر الشاكر السياب مقالة «دراسة سيميائية في

قصيدة في المغرب العربي لبدر شاكر السياب» (١٣٩٣) بقلم محسن سيفي والأخرين، تحاول أن تدرس قصيدة من منظور التحليل السيميائي في المحورين؛ الأفقي والعمودي وفي المحور العمودي تهدف إلى تفسير العنوان والنص الرئيسي تبيّن أنَّ السياب اختار العنوانين التي تلائم مع الفكر القومي العربي وفي المحور الأفقي مستعيناً بالمستويات كالموسيقي واللغوي وكيفية رصافة الحروف ليعبر بهذه المستويات عن خلجان نفسه والإضطرابات موجودة. كما أنَّ مقالة «سيميائية الزمكان في شعر بدرشاكر السياب» (١٣٩٥) بقلم راضى بوغذار ومحمد شايكانى مهر تستهدف كشف عن دلالات الزمان والمكان في شعره يحاول هذا المقال أن يدرس أشعار بدر شاكر السياب مستعيناً بالسيميائية المكانية ويركز على كشف الرصد عن دلالات الزمان والمكان وتحولاتهم بوصفهما وسيلة يقدم من خلالها الشاعر موقفه تجاه الواقع المرير الذى عاشه، ويصب كأس غضبه فوق رأس المدينة الصاخبة التي ابتلت قريته جيكور. وأخيراً نشير إلى مقالة «دراسة سيميائية لقصيدة سفر أيوب لبدرشاكر السياب» (١٣٩٠) التي درسها ابراهيم أناري بزجلوئى وسميرا فراهانى، تستند إلى نظرية آلن غريماس السيميائية وترى القصيدة ذات المستويات المختلفة: المستوى السطحي والمستوى العميق وتبين بأنَّ الشاعر يستخدم من دلالات غير صريحة ويعتمد على الإنزياح والأساطير والرموز ليشير مقاصده. أما بالنسبة إلى قصيدة مدينة السندياد فلم تحظ هذه القصيدة بدراسة. فالمقال الذى قمنا به يتطرق إلى مدينة سندياد من منظار سيميائى.

«السيمياء» لغة واصطلاحاً

بعد البحث في المعاجم، تبين لنا أنَّ السيميائية لغة تدور في فلك العلامة، فقد ورد في لسان العرب: السومة والسيمة والسيماء والسيمياء: العلامة، وسُوْم الفرس جعل عليه السيمة. قال عز وجل "حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين" (ذاريات ٣٥-٣٤). وفي حديث قال يوم بدر: «سُوْموا فأنَّ الملائكة قد سُوْمت». أي أعطوا لكم العلامة يعرف بها بعضكم بعضاً، والأصل فيها (الواو) فقلبت للكسرة السين وتمد وتقصر، والسيماء (ياؤها) في الأصل (واو) وهي العلامة يعرف بها الخير والشر. قال الله تعالى: «تعرفهم بسيماهم» (ابن منظور، ١٤١٤، ج ٣: ٣١٢) في الحقيقة، العلامة هي التي تمثل شيئاً آخر غير معناها الأصلي وتعني العلامات في إطار النظام والبنية العلامات؛ أنها الميزات الأصلية لعلاقة في كل سطح من سطوح وكل معنى وكل تركيب من المعاني، ويمكن لكل شيء حي أو جماد، حقيقي أو خيالي أو مصطنع بأن يستخدم في مقام العلامة والتفسير. «السيمياء اصطلاحاً» هي عبارة عن لغة التفكير والتركيب وتحديد البنيات

العميقة الثانوية وراء البنى السطحية المتمظهرة فونولوجياً ودلالياً» (جبرو، ١٩٩٨: ٣٨). أو دراسة منهجية لكل العوامل التي تشارك في إنتاج وتفسير العلامات أو في عملية الدلال. يرى البعض أن السيميائية هي ذلك العلم الذي يدرس النظم الإشارية في الثقافات المختلفة، تلك النظم التي تتضمن اللغة بوصفها نظام إشارياً والشفرة بوصفها نظاماً ذات دلالات، فضلاً عن أي نظام إشاري آخر. ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن اللغة هي إحدى المجالات السيميائية كما قال سوسور: إن اللغة تعد نظاماً من العلامات والأجل الحصول على ايضاح مطلوب منها يجب أن نلتجأ إلى العلامات. تعتبر العلامات اللسانية أن الثنائية المتمثلة في الدال والمدلول؛ أن الدال مادي والمدلول ذهني أي الصورة السمعية والمفهوم؛ وقسمها يبرس إلى ثلات مجموعات: الأيقونات، المؤشرات ومجموعة الرموز؛ وفي الإشارة تكون العلاقة بين الدال والمدلول سببية، وفي الرموز فالعلاقة بين الدال والمدلول تكون اعتباطية بينما في الأيقونة تكون العلاقة فيها علاقة تماثل وتشابه. في ضوء ما تقدم، تعد العالمة أحد أهم مكونات التحليل السيميائي. يسعى هذا المنهج، مثل المنهج البنوي، إلى دراسة النص في إطار الهيكل الداخلي وتفسيره في حدوده. علاوة على ذلك، فإنه يتتجاوز محاولة تحديد جميع الظروف الخارجية لمساحة النص وإدراك الظواهر المختلفة في جوانبها التوأمية اللغوية وغير اللغوية؛ لكن التحليل السيميائي، على عكس "التحليل البنوي، لا يكتفي بالتحليل الأفقي للنص كنظام لغوي مغلق، بل يعمل على التعامل مع بيانات البنية العمودية واستثمار جميع الأنظمة الدالة، ويسعى بذلك إلى تفجير النص واستطاق المعاني المسكوت عنها" (المرابط، ٢٠١٠: ٦٧).

بشكل عام، تجري أغلب تقنيات السيميائية -كما يؤكّد أكثر الباحثين- عبر مرحلتين: أفقية وعمودية؛ مرحلة التحليل الأفقي: يتم فيها الوقوف على المعاني السطحية للظاهرة المستخلصة من بنية النص. مرحلة التحليل العمودي: يتم فيها الوقوف على المعاني الغائبة والدلالات العميقية والحقيقة المسكوت عنها وهي دلالات تأويلية، يسعى فيها الباحث إلى إعادة بناء المعطيات وفك رموزها وشفاراتها مبدعاً نصاً جديداً يعرف باسم «البنية العميقية». غير أن إنتاج النص الجديد ليس معناه الإنطلاق من التخمينات غير المؤسسة بل العمل على أساس قراءات سيميائية. يمكن القول بأن التحليل على هذين المستويين (الأفقي - العمودي) هو نفس القراءة الإستكشافية والقراءة التأويلية لريفاتير؛ و"الأولى هي القراءة التي ترمي لبحث معنى الشعر على أساس المعنى المعجمي. وهناك مشكلة تصعب هذه القراءة وهي المعاني غير المباشرة والمعاني الغامضة؛ المشكلات غير المباشرة التي تسلب المعنى في مرحلة القراءة الإستكشافية بإمكانها أن تسهل في مرحلة القراءة التأويلية. في محاولة التعيين، يتم البحث عن دلالات الجملات التي ليست لها قاعدة في المرحلة

الأولى وسوف تكون شاملة في نظام آخر هو نظام العلامات. يرى ريفاتر أن للخطاب الشعري مستويين. المستوى المحاكاتي (النص كتمثيل لحقيقة مجموعة من الوحدات المعلوماتية على التوالي)، والمستوى الدلالي (النص كمجموعة من الوحدات الدلالية المنسجمة المبنية على التفسير).

وفي السيميائية يجب على المخاطب بأن يتجاوز المستوى المحاكاتي لفهم النص - وهو المستوى الذي إن قرئت فيه بعض الأجزاء بشكل إرجاعي لا تفهم - ليحصل على المستوى الدلالي حيث يعتبر المعنى غير مباشر وتلوبيحاً، حتى يفهم النص كله. يمكن الحصول على هذا المستوى من خلال القراءة التأويلية، عندما يرى القارئ النص ككل، وغالباً ما يحتوي النص على نماذج مهمة من حيث القياس والصوت والبلاغة، وكذلك في المعاني التي لا يمكن تفسيرها بشكل عكسي، مما يفرض نفس الشيء. تُعطي النماذج للقارئ إشارات لكي يفهمها ويدركها. ومع ذلك، فإن أهمية هذه العلامات لا تتحقق إلا في القراءة التأويلية وعلى هذا الأساس، يجب القيام بقراءة تربط بين غموض النص والإشارات التي لا تظهر معاناتها سريعاً للقارئ، من أجل الوصول إلى فهم المعنى والتسلق، والوحدة في الشعر. إن كل لغة (شعر أو غيره) هي نظام معقد ومجموعة من الإشارات، ويمكن استtraction المعنى من مجموعة الإشارات في هذا السياق. يتمتع هذا النظام بمزايا منها: ١. كيف تتم العملية (كيفية التعرف على العلامة) ٢. السياق الذي يؤخذ فيه نظام الإشارة بعين الاعتبار ٣. جوهر العلامات وعدها ٤. كيفية ربط الإشارات بشكل منتظم. من هذا المنطلق، سندرس سيميائية العنوان ونبحث في المستويات الصوتية واللغوية والنحوية عن العلامات، ونعتمد على عملية الترابط والعلاقة والتركيب والاستبدال في قصيدة "مدينة السنديباد".

[Downloaded from jsal.ierf.ir on 2026-02-15]

[DOR: 20.1001.1.29809304.1403.7.3.1.3]

«مدينة السنديباد» من الخطاب الشعري حتى الثورة الاجتماعية
 ولد السياب في قرية جيكور من محافظة البصرة عام (١٩٢٦) وكان أبوه مزارعاً يقتات على ما تردد أشجار النخيل من تمر وفير. عاش بدر السنوات الأولى من طفولته في مستوى اجتماعي ومادي لائق إلى أن اختطف القدر والدته سنة (١٩٣٢) فرحلت عن دنياه الصغيرة. ولا شك أن هذا الحدث المفجع كان ذا آثار كبيرة في نفسيته وهو صغير وبقيت دفينة في أعماقه حتى وجد فيما بعد منفذًا لها في الشعر على شكل صور بيانية حزينة. توفي بدر شاكر السياب سنة ١٩٦٤ (العلبة، ٢١: ١٩٧٠). "يتسم شعره بجزالة الألفاظ وصحة التراكيب والمحافظة على الوزن، فهو مع رياضته للتتجديد في الشكل لم يترك الوزن الشعري أو يتحرر من القافية، وكان ذلك من أسباب فحولته بين الشعراء المحدثين. يستحضر

السياب اللغة الحية ويرفعها إلى مستوى آخر لتكميل معالمها وتتوضح بما يخدم الواقع ذاته" (المعوش، ٢٠٠٦، ٣٢٢).

لقد اخترنا قصيدة "مدينة السندياد" من ديوان "أنشودة المطر". يكاد هذا الديوان أن يكون أكثر أهمية فيما قال بدر وهو يغطي مرحله تمتد من عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٦١ موزعة على موضوعات مختلفة أبرزها الوطني والقومي والإنساني والاجتماعي. يسجل بدر في هذا الديوان عدة نقلات خصوصاً على المستوى السياسي ولا بد من الملاحظة هنا أن السنوات بين ١٩٤٩ و ١٩٦١ شهدت تطورات مهمة على المستوى الشخصي لبدر وعلى المستوى الوطني (العراق) والقومي (العالم العربي). تتناسب قصيدة "مدينة السندياد" مع الأجواء السياسية المرتكبة في العراق آنذاك. في تلك الفترة، كان الشعب ينظر إلى الحوادث والثورات كبداية الانطلاق والحرية. لكن بعد فشل تلك الحوادث وخيبة أمل السياب والشعب، نظروا إليها على أنها نشور كاذبة. هذه القصيدة تشير إلى ثورة القاسمي التي كان ينظر الشعب العراقي إليها كثورة منقذة، لكنها كانت همجية بلا جدوى وفاشلة. لذلك يعبر السياب عن حزنه وبؤسه الشديد ويهجو الحكم القاسمي هجواً شديداً ويستهزئ به بشكل غير مباشر. لقد استخدم الشاعر في هذه القصيدة مجموعة من الوجوه التاريخية، والدينية والأسطورية ليرسم لوحة زاخرة من المفاهيم السياسية والاجتماعية بأفكاره الشخصية ويصور الشاعر ما عانته بغداد من بلاء وخراب تحت وطأة الحكم القاسمي، فلما جأ إلى توظيف مجموعة من الشخصيات التراثية ليستر وراءها عن طريق لجوئه إلى العلامات الخاصة ذات الدلالات الخلابة في الخطاب الشعري ويفصح عن كل ما ارتكبه العهد القاسمي من الجرائم في حق العراق ويهجوه هجواً قوياً دون أن يعرض نفسه مباشرة لبطش زبانية العهد" (عشرى زايد، ١٩٩٧: ٣٨).

مقاربة سيميائية لنص القصيدة

سيميائية العنوان

إن العنوان يمثل نقطة المنطلق أو جملة المنطلق، وهو في الحقيقة يلقى بظلاله الصورية والدلالية على القصيدة كلها، ويحتل منزلة مرموقة في الدراسات الأدبية؛ حيث إنه هو الذي يعد المفتاح الأساسي للولوج إلى التجربة الشعرية وإكتشاف ميزاتها ويتم الدخول بواسطته إلى أغوار النص العميقه قصد إستنطاقها وتأويلها (البستانى، ٢٠٠٢: ٣٤). العنوان شفرة ذات خصائص متعددة تعززنا بهوية النص ومضمونه وتلتفت انتباها إلى تتبع ظواهره السطحية والباطنية. "يتأسس عنوان هذه القصيدة ظاهرياً على تركيب إضافي مدينة السندياد يرمز إلى مدينة بغداد المعاصرة بشكل غير مباشر؛ ويستخدم السندياد

استخداماً عابراً كعنصر في صورة كنایة تشير إلى مدينة بغداد، لأن بغداد كانت هي المدينة التي يعيش فيها السندياد، ويحاول الشاعر أن يوهم القارئ بأنه لا يتحدث عن بغداد المعاصرة" (عشرى زايد، ۱۹۹۷: ۳۷).

إن هذا التركيب الإضافي هو الشفرة التي تظهر لنا هوية هذه القصيدة وتشير إلى بنيتها العميقية التي تكمن وراء العلامات وتشدد ذهن المتلقى وتجعله متقد الذهن بأن هذه القصيدة تقصد أن تصور ما حل بالعراق وخاصة بغداد. فضلاً عن ذلك، بالنسبة لاستخدام الكلمة السندياد، وبدلًا من كل ما يستطيع الشاعر أن يضفيه باستعمال "مدينة"، يختار الشاعر السندياد لأن رمز الإنسان المغامر الذي يعني في مجتمعه ويريد أن يغير ظروفه فيرحل عن مدینته بسبب معاناته وواجه المشاكل والمصائب أثناء رحلته لكي يصل إلى ما يريد. وبهذا الاستخدام يشير ضمنياً إلى ظروف مدینته مثل الظلم والقمع واليأس وغيرها.

المقاربة على المستوى الموسيقي

أصوات الكلام تحيط بنا من كل جهة فالإنسان حينما يتصل بغیره أو يغني أو ينظم شعراً يستعين بالأصوات، فالصوت ضروري في الحياة وضرورته تكمن في كونه يمثل الجانب العملي للغة واللغة عبارة عن الأصوات التي يعبر بها كل شخص عما يجول في خاطره ويتم بواسطتها التواصل بين الأفراد والمجتمع. يعد نظام الأصوات من أهم عناصر البنية النصية في المفهوم الشعري سواء في قصائد الشعر الحديث أو القديم، وهو النظام الذي يضم في نطاقه الصوت، الوزن، والقافية.. إلخ. في هذا المجال نهتم بدراسة الوزن والتشاکل الصوتي.

الوزن:

يعد الوزن من مركبات الشعر المهمة، وأهميته مرهونة بأثره في تشييد أركان العملية الشعرية، ولا يسمى الشعر من دون الوزن شعراً. أشار النقاد إلى أهمية الوزن وعلاقته بالعملية الشعرية، فتحدث القدماء منهم والمحدثون عن مسألة ارتباط الوزن بالحالة النفسية للشاعر، وال موقف التي يمر بها في أثناء عملية النظم. وإن أكثر المحدثين رفضوا الربط بين الأوزان الشعرية والأغراض نظراً لما يشوب هذه الأحكام من الانطباعية والتعيم. يعد إبراهيم أنيس من الرافضين لمسألة التناسب بين الوزن والغرض. وإن كان إبراهيم أنيس قد نفى وجود صلة بين الوزن والغرض فإنه "استحدث اتجاه آخر في هذا الباب وهو ما يلمح إليه في قوله بوجود صلة بين الوزن والتجربة العاطفية. يعتقد الباحثون بوجود صلة بين عاطفة الشاعر وما تخيّره من أوزان لشعره، فالشاعر حين ينشد الشعر يستعيد تلك

الحالة النفسية التي تملكته أثناء الوزن حتى يتشاركها مع السامع في كل أحاسيسه ويشعر بشعوره" (أنيس، ١٩٥٢: ١٧٤). نحن نلاحظ هذا التناوب في قصيدة "مدينة السندياد" المنظومة على بحر الرجز، لكن في أحد المقاطع يستخدم الشاعر البحر المتقارب ثم يرجع إلى الرجز مرة أخرى. يكون "الرجز وزناً عفوياً" ويجري على الكلام بهلهلهه وعذوبته" (المصدر نفسه: ١٢٥). يكون هذا الوزن ذا مقاطع قصيرة فيتناسب مع القضايا الثورية وشديد العاطفة، وقد استخدمه السيّاب للتعبير عن غرضه الأصلي وهو هجو حكم القاسي والقيام ضد كل ما يعانيه. في المقطع الثاني يستخدم الشاعر البحر المتقارب الذي يعد من الأوزان الطويلة، للشرح والتفصيل، ويستخدمه لترسيم مفهوم النكسة والفشل مستفيداً من كل قدراته اللغوية والتعبيرية. ونلاحظ أن السيّاب قد طبع بحر الشعر تصوير التجارب التي نظم الشعر من أجلها، تبعاً لنفسيته الشعرية.

التشاكل الصوتي:

إن أول ما يعترض المحلل لأي نص أدبي هو المستوى الصوتي؛ وهو مستوى جامع لمستويات أخرى كال المستوى اللغوي، والتركيبي، والدلالي، إذ إن النص مكون من ألفاظ مركبة ولها دلالة، والصوت فيها يمثل أصغر وأول جزء من هذا النص الملفوظ المركب، ولا توجد لغة في العالم تستعمل الأصوات اللغوية بصورة مستقلة بعضها عن البعض الآخر، بل تتدخل مع بعضها البعض مكونة مقاطع صوتية، تعمل على إضفاء النغمات الموسيقية على أجزاء العمل الأدبي. إن دراسة المستويات الصوتية صارت تحتل مكانة مرموقة في المقاربات الشعرية وإذا ما حاول القارئ أن يعزّز المعاني للوقائع الصوتية فتلك هي الرمزية الصوتية" (مفتاح، ١٩٩٢: ٣٧). إن دراسة الرمزية الصوتية بمعنى القيمة التعبيرية للصوت ترى أن أصوات اللغة تمتلك تعبيراً ذاتياً وتكراراً للأصوات والكلمات والتركيب، وليس ضرورياً لكي تؤدي الجمل وظيفتها الدلالية والتداولية ولكنه "شرط الكمال" ومع ذلك فإنه يقوم بدور كبير في الخطاب الشعري أو ما يشبهه من أنواع الخطاب الإقناعية الأخرى. الصوتيات ليست مستقلة عن الكلمة والتركيب. إن التشاكل الصوتي يتحقق في الكلمة ولكنه لا يؤدي وظيفته الكاملة إلا إذا تجلّى في تركيب" (نفسه: ٥٥).

لا يمكن غض النظر عن أهمية وظيفة الصوامت والصوائف ودور الأصوات في التعبير عن العواطف والمعنى. التشاكل الصوتي ينبع في النهاية دلالات معينة، حيث لا يفصح النص عنها مباشرة. في هذه المقاربة نواجه كثرة الحروف الحلقة (ع، غ، ح، خ، ه). يسمى إحسان عباس في كتابه «خصائص الحروف ومعانيها» هذه الحروف «الحروف الحلقة الشعورية»، "قدرة أصوات الحروف الشعورية الحلقة على التعبير عن الانفعالات النفسية

ذاتياً تعود بالدرجة الأولى إلى رقة أنسجة غشاء الحلق وحساسيتها الفائقة، لا إلى قرب الحلق من جوف الصدر فحسب، فليس في جهاز النطق ما هو أقدر من هذه الأنسجة على امتصاص الانضرابات والانفعالات التي تجيش في النفس والصدر معاً، ليصبهما المتكلم المنفعل في أصوات مهتزة أو مضطربة تجسّدتها تجسيداً أكثر مما توحى بها إيحاءً، على أن قرب الحلق من جوف الصدر يعطي الأصوات التي تتشكل فيه فرصة أفضل لتنقلي الانفعال النفسي بحيويته وتلوناته ودقائق رعشاته" (عباس، ۱۹۹۸: ۱۷). لقد أثر الحزن، والغضب، والألم الكامن في نفس السيّاب منذ سنين عليه وسيطر على وجوده، فأشد شعره بلحن حزين في قصيدة «مدينة السندياد» التي تمثل غاية خيبة أمله وحزنه وغضبه التي سيطرت على وجوده، فقام بتوظيف الحروف الحلقية. يعتقد بعض الباحثين أن نظام القوافي وعلم البديع مثل الجناس والسبع والطباق، يدخل في إطار التشاكل الصوتي، ويستعمل لتشيد الإيقاع والتغيير عن المعنى، لكن في هذا المجال نقتصر في الكلام على هذا الحد.

الدراسة السيميائية في مقاطع القصيدة

"تدرس المقاربة السيميائية دلالة التركيب أي الغرض المتعلق بنوايا المتكلم والمتلقي، وتنظر إلى تراكيب الشعر على أنها تراكيب تؤدي جزءاً من معنى القصيدة وجماليتها لا على أنها تراكيب ميّة محايضة" (مفتاح، ۱۹۹۲: ص ۷۰). في الخطاب الشعري، تبعد الكلمات من معناها الحقيقي وتدخل في نظام جديد وتوجد وظيفة ثانوية.وكما أشرنا، "فإن الكلمات في النص تستبدل بالعلامات وتقيم محور التراكب والاستبدال، قيمة العلامة، وهذا المحوران يبنيان السياق الذي تتحذ العلامات معناها فيه، وهما قالبان منظمان يضفيان الانسجام على العلامات كرموز" (نفسه: ص ۷۰).

[DOR: 20.1001.1.29809304.1403.7.3.1.3]

تظهر العلاقة بين الدال و المدلول، وقواعد التراكب والاستبدال عن طريق المفارقة، الاستعارة، المجاز والانزياح وكيفية اختيار وترتيب الكلمات. في هذا المجال نعني بدراسة العلامات على حسب قراءة مقاطع القصيدة. المقطع الأول: يعد المعجم اللغوي في الخطاب الشعري السمة الأساسية التي تنقل الخطاب من خطاب إعلامي إلى خطاب فني تأثيري. ويعني ذلك إحداث نظام علامات خاص داخل نظام العلامات العام، يدل على مركبات القصيدة ويساعد على فهم المعنى ودلالة المعنى في النص. يمكن القول: "بأن الكلمة في الخطاب الشعري لها دلالتان: الأولى أمامية، حسية مباشرة تلتقطها حاسة النظر، والثانية صممية غائبة يبحث عنها القاري بالتأويل. عندما ندرس كلمات الخطاب الشعري نرتكز على مكون مورفولوجي يتعلّق ببنية الوحدات الدلالية ويتمفصل في مستويين: مستوى عميق ومستوى سطحي" (المرابط، ۲۰۱۰: ۴۴).

بدراسة قصيدة «مدينة السندياد» نرى في كل مقطع منها مجموعة من الكلمات التي تقع على محور دلالي مشترك واحد بغض النظر عن معناها السطحي، وتصبح لها دلالات خاصة في النص. في المقطع الأول مجموعة من الكلمات (قض، هز، فتح، أنت، أحرق، فجر) تشكل منظومة وصفية تدل على دعوة إلى التحول والحركة، ولا تقتصر هذه الدعوة على التغيير والتحول فحسب، بل تمثل اعتراضاً على الأوضاع السائدة. يدعو الشاعر المطر، وللمطر هنا دلالتان متضادتان. الأولى هي رمز للبعث والنشور على أساس محور التركيب مع الأفعال (أنت، أحرق، فجر، تفتح) والكلمات (شجر، زهر، بنور) التي لها معانٍ إيجابية؛ لكن على محور التركيب مع الكلمات (اعتكر، شنق، واهب الدم)، فهو يدل على معنى سلبي ويمثل رمز الحكم القاسمي التي جاءت بعد سنين من الانتظار، لكنها تسببت بالموت والدم، بدلاً من أن تكون عامل الحياة والتطور؛ إضافة على أنا "إذا استخدمنا اللغة والجمل لتحدث مع الآخرين، فستنخلق المعنى التبادلي فينبعي أن نقترب الجملة كالتبادل؛ لأنها تتحقق عن تبادل القائل مع المخاطب. في هذا التبادل، القائل والمخاطب كلاهما يعتبران كركني أساسين في العلاقات التبادلية، ففي أمر التبادل، يستفاد من الآليات الأربع وهي الإقرار، الخبر، الأمر والسؤال" (Halliday & Matthiessen, 2004: 110-116). الشاعر باستخدام وجه إخباري في الأفعال (اعتكر، شنق، هز، صاح) يرمي ويبين درجة إطمئنانه عن قوله في الخراب والدمار ودلالته المطر على وجهه السلبي لكي يرمي إلى الحكم القاسمي لذلك ليس هذا الاستخدام نحوياً فحسب بل دلالياً وفي المحور التراكب مع المنظومة التوصيفية التي أشرنا إليها يرمي ويحرضه على الثورة مؤكداً على دلالة الإيجابية للمطر:

"وجئت يا مطر/تفجرت تنشك السماء والغيوم/ وشقق الصخر/ وفاض من هباتك الفرات
واعتكر/ وهبت القبور هز موتها وقام/ وصاحت العظام/ تبارك الإله، واهب الدم المطر/ فآه يا
مطر" (السياب، ١٩٨١: ١٥١).

في الخطاب الشعري يمكن لدار واحد بأن يتخد مدلولات متعددة في مواضع مختلفة. وهذا نتيجة علاقة التراكب والاستبدال في النص. على أن يستخدم الشاعر كلمتي «القبر» و«الشتاء» في بداية القصيدة، وهاتان الكلمتان في محور التراكب مع كلمتي (جوعان، عريان) تدلان على حيزه الزمانى والمكاني. «القبر» يدل على أوضاع عنيفة في مجتمع الشاعر و«الشتاء» يدل على أجواء زمانية مسيطرة عليه:

"جوعان في القبر بلا غذاء/ عريان في الثلج بلا رداء/ صرخت في الشتاء/ أقض يا مطر/
مضاجع العظام والثلوج و الهباء/ مضاجع الحجر/ أو أنت البذور و لتفتح الرّهر/ و أحرق
البيادر العقيم بالبروق/ و فجر العروق/ و أنقل الشجر" (المصدر نفسه: ١٥١)

كيفية اصطلاح الكلمات وصياغة الجملة الإسمية (جوعان في القبر بلا غذاء / عريان في الثلوج بلا رداء) هما دلالان تدلان على ثبوت وإستمرار ظروف المجتمع القاسية في زمن الحكم القاسمي لأنّ كيفية استعمال الجملات في اشكال المختلفة ليست إعتباطياً بل هادفاً لتشير إلى المعنى العميق كما ذكر "نما أساس البحث النحوي من خلال اللفظ المفرد وكيفية وقوعه في التركيب وما يجري عليه من تغير في آخره وما يتبع هذا التغير من إفراز دلالي يتصل أساساً بالمعنى النحوي. انطلاقاً من دائرة المعنى النحوي المحدود حاول بعض الدارسين أن يفيدوا من الإمكانيات التركيبية في اللغة برصد الخواص الشكلية التي الجملة ووصفها بدقة ثم الخروج من ذلك بما يصيب الدلالة من تغير بتعميمها أو تخصيصها، بوضوحها أو تعقيدها (عبدالمطلب، ۱۹۹۸: ۱۵۴) يستخد الشاعر الجملة الإسمية لكي يركز على ثبوت الأجراء العنيفة لأنّ الجملة الاسمية تفيض بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير (عتيق، ۲۰۰۹: ۴۸) الملاحظة الأخرى هي الإنزياح الذي وقع في مفهوم «الموت». إن الإنزياح هو «استعمال المبدع للغة»، مفردات وتركيب وصورة، استعمالاً يخرج بها عما هو معتاد ومتأنف، بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصرف به من تفرد وإبداع وقوه وجذب» (ويس، ۲۰۰۵: ۳۹). استخدم مفهوم الموت والنوم في هذه العبارة معنى واحد وأخرجا من مدلولهما السلبي فأصبحا يدلان على الحياة والرجوع إلى التاريخ والأصلة القديمة عند العرب. يمكننا أن نفهم هذه الدلالة عن طريق تركيب العبارات التي جاءت قبله وبعده:

"نود لونام من جديد/ نود لونوت من جديد/ فنوننا برامع إنتبه او موتنا يخبيء الحياة/
نود لو أعادنا الإله/ إلى ضمير غيبة الملتب العميق/ نود لو سعي بنا الطريق/ إلى الوراء حيث
بعدوة البعيد" (السياب، ۱۹۸۱: ۱۵۱).

عملية التكرار في هذا المقطع توحى وجهة النظر الثورية للشاعر وتدل على دعوه إلى تحول والرجوع إلى التراث العربي لأنّ تراكيمية للتكرار تعمل على تكثيف الدلالة فتؤثر في المتلقى من خلال الإلحاح سمعياً وذهنياً بتكرار الدال والمدلول كما يمتد هذا اللون التكراري إلى عملية التوالد الدلالي من خلال تكرار (عبدالمطلب، ۱۹۹۵: ۱۳۶). في نهاية المقطع يتذكر «العاذر» الميت الذي أحياه مسيح (ع) بعد موته استجابة لطلب أخيه مريم ومرثا من خلال توظيفه لهذا الرمز، يريد الشاعر أن يشير بشكل غير مباشر إلى الإنسان العراقي المفجوع في عهد القاسمي، فيتمني السياب لو أنه لم يبعث لكي لا يعلاني من ظروف المجتمع ويسأل المخاطب: من أرقده من نومه الطويل ولماذا؟ هذه العبارة تدل على ثورة كاذبة للقاسمي واعتراض الشاعر على هذا الحكم وعدم رضاه عنه. ونصل إلى

هذا المفهوم عن طريق منظومة توصيفية من الكلمات (ردي، شتاء، دماء، صدى، جوع) تدل على ظروف المجتمع:

"من أيقظ العازر من رقاده الطويل / ليعرف الصباح والأصل / والصيف والشتاء/لكي يجوع أو يحس جمرة الصدى / ويحذر الردي / ويعحسب الدقائق التقال والسراع / ويمدح الرعاع/ ويسفك الدماء" (السياب، ١٩٨١: ١٥٣).

المقطع الثاني: أدونيس هو إله النبات والخصب عند الفنقيين، وقد استخدم بصفته رمزاً سلبياً وسبيباً للخراب والموت. وقد استفاد الشاعر من المفارقة لاستنطاق المعنى وفكره؛ فالمفارة صيغة بلاغية تعبّر عن القصد باستعمال كلمات تحمل معناً مضاداً أخف من الاستهزاء والسخرية لكنها أبلغ أثراً منها بسبب أسلوبها غير المباشر فضلاً عن أن إدراكها يتطلب ذكاءً وحساً مرهفاً (ماكونين، ١٩٩٣، ج ٤: ٩٥). لقد استخدم الشاعر هذه التقنية لمواضيع هي: نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية، لوم الظلم والقمع، الاستهزاء للحكام والطغاة وهجومهم. لقد لجأ إليها في هذه القصيدة، توسيعاً لطرائف الأداء وبث روح السخرية في شعره:

"أهذا أدونيس، هذا الخواء؟... / مناجل لا تحصد/ أزاهر لا تعقد/ مزارع سوداء من غير ماء/ ... / أدونيس! يا لاندحار البطولة/ لقد حطم الموت فيك الرجاء/ وأقبلت بالنظرية الزائعة/ وبالقبضنة الفارغة/ بقبضنة تهدّد/ ومنجل لا يحصد/ سوى العظام والدم" (السياب، ١٩٨١: ١٥٣).

العلامات تشير إلى الفشل، اختيار الكلمات مثل (موت، إندرار، شحوب، جفاف، أين، سوداء، دم) تدل على الخراب وخيبة الأمل واستخدام هذه الكلمات على محور التركيب يرمي إلى البنية العميقية للقصيدة، وهي الهزيمة والانكسار، ويفهمها القارئ على حسب قرائين نصية و سياقية. فيؤكد ريفارتير على أن "الدلالة تبدو لي شيئاً يتجاوز أو يختلف عن المعنى الكلى الذى يمكن أن يستخرجه القارئ من المقارنة صيغ المعيطيات المباشرة فى النص بل هياسهام القارئ الإبداعي فى عملية التحويل (Riffaterr, 1978:225)، إن الجمل الاستفهامية تدل على نوع من السخرية اللاذعة لأن ثورة (القاسمي) التي كان الشعب متفائلاً بها قد فشلت. ويستخدمها السياب ليسهزمي به وهو غاضب:

"أهذا أدونيس، هذا الخفاء؟ / وهذا الشحوب، وهذا الجفاف؟ / أهذا أدونيس؟ أين الصنياء؟ / وأين القطاف؟"

في نهاية هذا المقطع، يستخدم الشاعر العبارات الاستفهامية الأخرى ليشير إلى خيبة أمله وحزنه إشارة تلوينية. وفي الحقيقة فإن هذه الجمل قد فقدت ماهيتها الاستفهامية

وليس لها جواب وتظهر في نص القصيدة كدلالات تشير إلى المعنى العميقه وهذه لا تدرك إلا بمشاركة القارئ والنص: اليوم والغد/ متى سيولد؟ متى سنولد؟" (السياب، ۱۹۸۱: ۱۵۵).

المقطع الثالث: محور الاستبدال ويکمن في العلاقات التي توجد بين العلامات داخل اللغة، أي في الذهن، حيث يقوم الكلام باختيار بعضها في التواصل دون الآخر. ويدل على مدلولات غائبة في النص، ويظهر في العلاقات التي تكون مبنية على الاستعارة والمجاز والتشبیه وما إلى ذلك. لقد استفاد الشاعر من أسلوب التشبیه، ووصف حكام العراق وخاصة القاسمي بقوم تار وهجاهم؛ والذي يلفت النظر هو أنه لا يذكر اسمهم مباشرة بل يستخدم ضمير الغائب بصيغة الجمع (واو) دون مرجع للإشارة إليهم، وهذا يدل على تحبیرهم وخوف الشاعر من ذكرهم: التار رمز الشر والشراة والمسيح (ع) ومحمد (ص) من التراث الديني هما رمز للخير والصلاح لكنهما اغتيلوا واحتراقاً. في الحقيقة يقصد الشاعر أن يرمز إلى المعنى من خلال استعمال العلامات المتباعدة (تقابل الخير والشر). "إن المحور الاستبدالي يهتم بالتباین اهتماماً بالغاً. ويلعب التباین دوراً أساسياً في تعین المعنى. يعتقد سوسور بأن التباین بين العلامات أهم من تشابهها" (جندرل، ۱۳۸۷: ۱۵۸).

"الموت في الشوارع/ والعمق في المزارع/ وكل ما نحبه يموت/ الماء قيده في البيوت/ وألهث الجداول الجفاف/ هم التار أقبلوا في المدى رعاها/ وشمستنا دم، وزادنا دم على الصحف/ محمد اليتيم أحرقوه فالمساء/ محمد النبي في حراء قيدهوه/ فسمر النهار حيث سمره/ غدا سيصلب المسيح في العراق/ ستأكل الكلاب من دم البراق" (السياب، ۱۹۸۱: ۱۵۶).

في نهاية المقطع تؤكد عبارة «ستأكل الكلاب من دم البراق» زوال الخير وأسبابه؛ البراق حصان مجّنح ورمز أعلى مقدرة للقوى الطبيعية واستيعاب باطنی للوصول إلى المعنویة واستبدال الشر بالخير (دی سرلو، ۱۳۸۸: ۱۰۳). كما البراق اسم الدابة التي حملت النبي محمد (ص) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلة معراجه ويدل هذا المقطع على الاختناق، وعدم الحرية، وضيیم الحكم على شعب العراق. نظراً لمحاور الاستبدال ونظام التباین في المقطع الثالث، يحاول الشاعر ترسیم الاختناق السائد والإضطهاد المسيطر على الشعب في زمن الحكم القاسمي فيستخدم أفعال (حرق، قيده، سمر، صلب) على المعنى الرئيسي وهو انعدام الحرية، والاستعمار. وقد استخدمت كل هذه الأفعال في زمن الماضي وفي العبارات التي تتكون من الجمل الفعلية أكثر من الإسمية لأن الجملة الفعلية فموضوحة أصلاً لإفادة الحدوث في زمن معین وقد تقيید الجملة الفعلية الاستمرار التجددی بالقرائن كالمدح والذم (عتيق، ۲۰۰۹: ۴۹) ولم

مقاربة سيميائية للخطاب الشعري: قصيدة «مدينة السندياد» نموذجاً

يسند من الجملات الفعلية في هذا المقطع إلا احتمال حدوث الضيم، استغلال الشعب العراقي والإختناق في الزمن الحاضر أو المستقبل، وصيغة الذي تدل على استمرار هذا الإختناق المسطير على الشعب طوال الحكم القاسمي.

المقطع الرابع: يقصد الشاعر رسم نفس الثورة وخبيتها رسمًا جديداً. الربع رمز لثورة القاسمي ويخاطبه الشاعر أملًا بعده أفضل وحياة جديدة لكنه لا يعيش فيه على مكانت للأمل والبشارية. عشتار هي آلهة الخصب أو الأم الأسطورية وهي عاشقة تتمزج في الأسطورة البابلية التي تعتبر رمزاً لإعادة الحياة إلى الأرض والمسيح رمز حياة أيضاً، ويدل في تركيب مع فعل «خيّل» على حلم وأمل الشعب الذي لم يسفر إلا عن العقم، والموت، والدمار، فهو يحتقر هذه الثورة ويستهزء بها بتعبير جميل؛ الثورة التي أتاحت الخراب وولد فيها قابيل، قابيل، رمز الخراب والمحرب:

"يا أيها الربيع / يا أيها الربيع ما الذي دهاك؟ / جئت بلا مطر / جئت بلا زهر / جئت بلا ثمر /.... / خيل للجیاع أن ربۃ الزہر / عشتار قد أعادت الأُسیر للبشر / وكللت جبینه الغضیر بالشمر / خیل للجیاع أن کاھل المیسیح / أزاح عن مدفنه الحجر /... / الموت في البيوت يولدا / يولدا قابیل لکي یترع الحياة / من رحم الأرض ومن منابع المیاه / فيظلم الغد / وتجهض النساء في المجازر / ويرقص اللھیب في البیادر / ویهلك المیسیح قبل العازر" (السیاب، ۱۹۸۱: ۱۵۸)

إذا فتشنا المعاني الكامنة في اللغة وجدنا عدداً ضخماً من الإختيارات تضمّها شبكات مستقلة من الإمكانيات وهذه الشبكات تسجم مع وظائف أساسية محددة للغة وهذا يجعلنا قادرين على أن نصف الوظائف المختلفة للغة وأما بالنسبة الوظيفة التبادلية التي هي التعبير عن الموقف المتكلّم قبولاً أو رفضاً أو ترجيحاً أو شكّاً أو توقيعاً أو إندهاشاً أو أسفًا.... وهذه تظهر إن شئت واضحاً جلياً في النظام الصيغية وأنظمة الصيغة تميز ابتداء - إذا طبقناها على اللغة العربية - بين الخبر والإنشاء (أحمد نحلة، ٢٠٠١: ١٤٩-١٣٢) صيغية:ـ تدل على الدرجات الوسطى بين المثبت والمنفي وتتحدث عن عدم الوضوح والإطمئنان والإلزام والرغبة؛ في اللغة العربية لتبين الصيغية، «تُستخدم الصيغة الإخبارية، الأمرية، الاستفهامية، الالتزامية والتأكيدية» (الريحانى، ١٩٩٨). في هذا المقطع يستخدم الشاعر الصيغة الإخبارية ليرمي إلى درجة اطمئنانه وقاطعيته عن إنكسار الحكومة القاسمي؛ واستخدام الأفعال المجهولة يتأكّد هذه المسألة؛ كما أن بنية الأسئلة قد خرجت من مدلولها السطحي، وإستخدامها على شكل كناية بدل على اللوم والاستهزاء من قبل الشاعر على سبيل الرمز تجاه حكم وكيار حكومة

العراق ولا سيما بغداد: يا أيها الريبع ما الذي دهاك؟ من الذي سقى من السراب؟ من الذي أطلق من عقالها الذئاب؟ و خباء الوباء في المطر؟

في نهاية المقطع نلاحظ أن الانزياح الدلالي عبارة عن كسر نظام الاستعمال المتعارف للمفردات أو التراكيب التي بها تتكون الجمل بهدف زيادة الدلالات الممكنة وقد تظهر مظاهرها من خلال التوظيف غير المألف، وهناك يظهر في العبارة فارس النحاس: أمس أزيح من مداها فارس النحاس / أمس أزيح فارس الحجر / فران في سمائها النعاس.

(السياب، ۱۹۸۱: ۱۵۹)

الفارس رمز للسيطرة على القوات الطبيعية ورمز للنصر والمجد (شواليه وغرابن، ۱۳۸۷، ج ۱: ۱۶۸) والنحاس رمز للماء، فيعرض الشاعر عنصر الحياة الأساسي وهو الجوهر الحيوي لكل الكائنات والمخلوقات (المصدر نفسه، ج ۵: ۲۳۹). أما بالنسبة لتركيب فارس النحاس فهو تركيب إضافي تشبيهي ورمز لإنسان يتمتع بالمجد العربي والأصلية العربية التي قد ولّت عن بغداد منذ زمن طويل، وفارس الحجر يدل على المقاومة والصمود على أساس محور التركيب. الانزياح الدلالي في جملة «أمس أزيح من مداها فارس النحاس» يذكر على سبيل التعريض بأن أمل الشعب العراقي بهذه الثورة وأمثالها قد خاب، لأن الأصلية العربية العريقة ذهبت من بيننا وفقدنا المجد العربي. بشكل عام المقطع الرابع يرمي إلى وجهة نظر السياب حول الثورة قبل وبعد تحقّقها، وهي الثورة التي تطلع إليها الشعب ورجاها، لكنها أصبحت بلا جدوى، فمجموع الكلمات (حصاد، سنابل، عشتار، مسيح، زهر، مهود، عازر، صيف) ترسم أمل الشعب لتحسين الظروف وهذه الفكرة ترجع إلى ما قبل تحقق الحكم القاسمي، فقد استخدمت الكلمات (قابيل، وباء، ذئاب، نعاس، رصاص، مجازر، بيادر) لتوصيف ظروف مدينة بغداد بعد الثورة والحياة المأمولة التي كان ينتظرها الناس فأصبح هباءً منثوراً.

المقطع الخامس: في هذا المقطع يتصرّف الشاعر تمثلاً من مدينة بغداد المعاصرة، يمثل مدينة بغداد مع كل ظلامها، وخيبتها وحزنها تمثيلاً باللغاء، مجموعة الكلمات (تتار، يهودا، دماء، مجازر، ظلام، قتام، عوين) تدور حول المعنى الرئيس وهو اليأس والظلم وهذه الكلمات تشير إلى الأوضاع المسيطرة على مدينة بغداد. يرى الشاعر أن بغداد المعاصرة كبابل هي رمز لحياة منهارة ومدمرة، أي العالم المادي الذي تنزل الروح فيه ويقع في مكان مقابل لبيت المقدس والجنة (المصدر نفسه، ج ۲: ۲). السياب يقول:

كان بابل القديمة المسورة/ تعود من جديد/ قباهها الطوال من حديد/ يدق فيها جرس
كأنّ مقبرة/ تتن فيه والسماء ساح مجرزة/ جنانها المعلقات زرعها الرفوس/..../ وتغرب
الشموس/ وراء شعرها الخصيб في غصونها/ أهذه مدتي؟ أهذه مدتي؟ خطّ عليها

عاشت الحياة / من دم قتلاها فلا إله / فيها ولا ماء ولا حقول؟... / حول دروبها ولا تزورها
القمر (السياب، ١٩٨١: ١٦٠)

«شموس» مفردتها شمس وهي رمز للبطل، والعدالة، والمنشأ الحيوي وعين الحياة (دى سرلو، ١٣٨٤: ٣٧٣) التي تغرب عن هذه المدينة وليس منها رجاء. «القمر» رمز للحداثة والتنمية ومن جهة أخرى رمز للزمن العابر وتتجدد الحياة (شواليه وغرابن، ١٣٨٧، ج: ٥: ١٢٦ - ١٢١). في هذا الخطاب تجاوزت «الشموس والقمر» وظيفتها الإرجاعية وأصبحت تدل على حيوية وتتجدد لا يوجد لها أي أثر في المدينة حالياً. وترسم نهاية المقطع غاية حزنه وألمه، فيستخدم لهذا الغرض المفارقة التصويرية التي تصعب فيها عشتار أي حبوبة أدونيس رمزاً للعقم والخراب، ويدل هذا التصوير على استمرار الأزمات في العراق بشكل ضمني:

عشتار عطشى ليس في جبينها زهر / وفي يديها سلة ثمارها حجر / ترجم كل زوجة به
وللنخيل / في شطّها عويل / وهذه مدینتي؟ خناجر التتر / تغمد فوق بابها وتلهث الفلاه / حول
دروبها ولا تزورها القمر / وهذه مدینتي وهذه الحر وهذه العظام. (السياب، ١٩٨١: ١٦١)

تُعدُّ كيفية استخدام الجمل النحوية معبراً عن فكر المتحدث بينما أن استخدام البنيات المترابطة وفضلياتها على التراكيب الأخرى في النص هو أحد العوامل الفعالة في إنتاج المعنى (جندلر، ١٣٨٧: ١٣٣). لذلك ي يريد الشاعر بالعبارة الإستفهامية (هذه مدینتي) في هذا المقطع يرمي إلى ايدئولوجيه هو المقاومة والتتحول، بسبب سؤاله هذا يحرض المخاطب على تفكير ويوئنه لخموده أيضاً. وأما بالنسبة أسلوب التكرار الذي يأتيه الشاعر في هذا المقطع يمكن أن يقول "إن البنية التكرارية في القصيدة الحديثة أصبحت تشكل نظاماً خاصاً داخل كيان القصيدة، يقوم هذا النظام على أساس نابعة من صميم التجربة ومستوى عمقها وثرانها، وقدرتها على اختيار الشكل المناسب الذي يوفر لبنية التكرار أكبر فرصة ممكنة لتحقيق التأثير، من خلال فعاليته التي تتجاوز حدود الإمكانيات النحوية واللغوية الصرف، لتصبح أداة موسيقية - دلالية في آن معاً. فيجيء في القصيدة على وفق أشكال مختلفة موظفة أساساً لتأدية دلالتها (عييد، ٢٠٠١: ١٨٨) وهنا الشاعر يكرر العبارة الإستفهامية لكي يتتأكد على المعنى العميق وهو التتحول والمكافحة وهذا التكرار ليس عملاً نحوياً ينتهي إلى الإيقاع بل تكون دالاً ليدل على ايدئولوجيا الشاعر.

حصاد البحث

تمثل السيمائية أحد الأساليب المستعملة والمؤثرة في تحليل النصوص الأدبية وتساعد على فهم دلالة المعنى وكشف السطوح الخفية للنص. من خلال قراءة قصيدة «مدينة السندياد» وتحليلها بالمنهج السيمائي عبر المستويين الاستكشافي والتأويلي، توصلنا إلى النتائج التالية:

- استخدم الشاعر بحر الرجز الذي هو بحر بسيط ويعبر على اللسان بسهولة ليعبر به عن سمة حماسية وقاطعة ويبين بواسطته اختلاجاته النفسية وهجوه ولومه.
- توظيف الحروف الحلقية الشعرية التي تدل على الانفعالات النفسية هو أيضاً من الدلالات الموسيقية التي تساعده في فهم الدلالة الضمنية والبنية العميقه.
- سيميائية العنوان تظهر بأن الشعر يتكلم بصورة كنایة عن بغداد ويرافقه الإيهام حتى لا تدرك عيون الحكومة غرضه.
- على أساس القراءة الاستكشافية، يدرك القارئ من الخطاب الشعري المعنى السطحي وهو الحزن والخيبة ويدرك ظروف المجتمع الذي وصفه السياب؛ رغم أننا لا نلاحظ في بعض المقطوع الانسجام بين العبارات من حيث المعنى.
- المعجم اللغوي في هذه القصيدة هو نظام علامات خاص تشكل الأنظمة الوصفية له المعالم التي تشير إلى دلالة المعنى بشكل غير مباشر، وتكون القرائن الحالية مؤثرة في تشكيل هذه الأنظمة.
- في المستوى التركيبي، العلامات المستخدمة في الجمل والعبارات تخرج عن دلالتها الإرجاعية، ويحدث هذا من خلال محور الاستبدال والترابك وكلها تدل على المعنى الكامن في النص وهو هجو الحكم القاسمي والاستهزاء به.
- عندما نلقي الضوء على اللعامات في بنية الخطاب، ينتهي الأمر بنا إلى كشف البنية العميقه وهي الهجو السياسي لثورة القاسمي والدعوة إلى تجديد الأصالة والمجد العربي، ولا نصل إلى هذه البنية العميقه إلا بالقراءة التأويلية والارتکاز على العلامات والقراءة وتدقيق في الأبنية التحوية والبلاغية.
- تكون الأساطير والرموز المسخدمة على أساس القراءة الإستكشافية توترة دائمًا بين أحداث النص، ويؤثر في خلق الدلالات و التعقيدات الدلالية في النص لها مبادئ توجيهية تلفت انتباه القارئ إلى المدلولية وجوانبها السيمائية.
- على أساس بسط المضامين و معالجة دلالات بنيات النص الشعري في المحور التراكب والإستبدال، يدرك أنّ الشاعر يقوم بخلق متغيرات متعددة ومنفصلة وإبداع صور متعددة تتكرر في مقاطع النص الشعري المختلفة.

المصادر والمراجع

[Downloaded from jsal.ierf.ir on 2026-02-15]
[DOR: 20.1001.1.29809304.1403.7.3.1.3]

- ابن منظور، محمدين مكرم (١٤١٤). لسان العرب، ط٣، دمشق: دار صادر.
- أحمد نحلة، محمود (٢٠٠١). علم اللغة النظمي (مدخل إلى نظرية اللغة عند هاليدي)، ط٢، قاهرة: متلقى الفكر.
- أنيس، إبراهيم (١٩٥٢). موسيقى الشعر، ط٢، قاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- جندرلر، دنيل (١٣٨٧). مبانی نشانه شناسی، ترجمة: مهدی پارسا، ط٢، تهران: انتشارات سوره مهر.
- جيرو، بيرو (١٩٩٨). علم الإشارة، ترجمة: منذر عياشي، دمشق: دار طلاس.
- خلف كامل، عاصم (٢٠٠٣). الأتجاه السيمولوجي ونقد الشعر، مصر: دار الفرحة للنشر والتوزيع.
- السياب، بدر الشاكر (١٩٨١). أنشودة المطر، ط٣، بيروت: دار العودة.
- دى سر لو، خوان ادواردو (١٣٨٩). فرنگ نمادها، ترجمه: مهر انگیز اوحدی، چاپ اول، تهران: نشر دستان.
- الريhani، محمد عبدالرحمن (١٩٩٨). اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوي، القاهرة: دار قباء.
- دينه سن، انه ماري (١٣٨٠). درآمدي برنشانه شناسی، ترجمة: مظفر قهرمان، تهران: نشر پرستش.
- شوالیه جان وغرابرن، آلن (١٣٨٧). فرنگ نمادها، ترجمة: سودابه فضایلی، ط١، تهران: نشر جیحون.
- عباس، إحسان (١٩٩٨). خصائص الحروف ومعانيها، دمشق: مكتبة الأسد-الوطنية.
- عتيق، عبدالعزيز (٢٠٠٩). علم المعانى، بيروت: دار النهضة العربية.
- عبدالمطلب، محمد (١٩٩٥). جدلية الإفراد والتركيب، ط٢، قاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.
- (١٩٩٥). بناء الأسلوب في شعر الحداثة، قاهرة: دار المعارف.
- العبطة، محمود (١٩٧٠). أضواء على شعر وحياة بدر الشاكرالسياب، ط١، بغداد: دارالسلام.
- عيبد، محدث صابر (٢٠٠١). القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية و البنية الإيقاعية، دمشق: منشور إتحاد الكتاب العرب.
- عشري زايد، علي (١٩٩٧). إستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، قاهرة: دار الفكر العربي.
- فضل، صلاح (١٩٩٨). شفرات النص دراسة سيميولوجية في الشعرية القص والقصيدة، ط٢، الجيزة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

- ماکوین، جون (۱۹۹۳). موسوعة المصطلح الندی، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، ط١، بيروت: الموسسة العربية للدراسات والنشر.
- المرابط، عبدالواحد (۲۰۱۰). السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ط١، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- موسوي سید مهدی، (۱۴۰۰) محوریت شاهنامه در ایران اولیه مدرن: رویکردی تاریخی - نشانه شناختی [به انگلیسی]، زبان کاوی کاربردی، ۴ (۲): ۲۰۰-۱۸۳.
- معوش، سالم (۲۰۰۶). بدر الشاکر السیاب، ط١، بيروت: موسسه بجسون.
- مفتاح، محمد (۱۹۹۲). تحلیل الخطاب الشعري، ط٢، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- ویس، محمد احمد (۲۰۰۵). الإزیاح من منظور الدراسات الأسلوبية، ط١، بيروت: مطبعة مجد.

Acknowledgements

We would like to express our thanks to reviewers for their valuable suggestions on an earlier version of this paper.

Declaration of Conflicting Interests

The author (s) declared no potential conflicts of interest with respect to the research, authorship and/or publication of this article.

Funding

The author (s) received no financial support for the research, authorship, and/or publication of this article.

REFERENCES

- Abbas, I., (1998). *Characteristics of letters and meanings*, Damascus: Al-Asad Al-Wataniyyat Library. [In Arabic]
- Abdulmutallib, M., (1995). *Bena al-Oslob fi Sharh al-Hedasa*, Cairo: Dar al-Ma'arif Publications. [In Arabic]
- Abdulmutallib, M., (1995). *The Dialectic of Individuals and Combinations*, 2th edition, Cairo: Al-Masriyya Al-Alamiya Publishing Company. [In Arabic]
- Abid, M., (2001). *Al-Qasidah al-Arabiyyah hadith between al-Buniyah al-Dalaliyah and al-Buniyah al-Iqaaiyah*, Damascus: Etihad of the Book of the Arabs. [In Arabic]
- Ahmad Nahle, M., (2001). *Al-Nazami Linguistics (Introduction to Halliday's Linguistic Theory)*, 2th edition, Cairo: Mutalaqi al-Fekr Publications. [In Arabic]
- Al-Abta, M., (1970). *Azva on poem and life of Badr al-Shaker al-Sayyab*, 1th edition, Baghdad: Dar al-Salam Publications. [In Arabic]
- Al-Marabet, A., (2010). *Al-Simiya Al-Amaa and Simiya Al-Adab*, 1th edition, Lebanon: Al-Dar Al-Arabiya Lul-Uloom Publishers. [In Arabic]
- Al-Raihani, M., (1998). *Attijahat in temporal analysis in linguistic studies*, Cairo: Dar Quba Publications. [In Arabic]
- Al-Sayyab, B., (1981). *Onshudah al-Matar*, 3th edition, Beirut: Dar al-Oudah Publications. [In Arabic]
- Anis, I., (1952). *Music of poetry*, 2th edition, Cairo: Maktaba al-Anjelo al-Mesriyat Publications. [In Arabic]
- Ashri Zayed, A., (1997). *Invoking the historical figures in contemporary Arabic poetry*, Cairo: Dar al-Fekr al-Arabi Publications.
- Atiq, A., (2009). *Elm al-Ma'ani*, Beirut: Dar al-Nahda al-Arabiya Publications. [In Arabic]

- De Sir Lo, J., (2010). *The Culture of Symbols*, translated by: Mehrani Ohadi, 1th edition, Tehran: Dostan Publishing House. [In Persian]
- Dinah Sen, A., (2010). *An Introduction to Bershnehology*, translated by: Mozaffar Qahraman, Tehran: Parestesh Publishing House. [In Persian]
- Fazl, S., (1998). *Semiological study in the poetry of al-Qas and al-Qasid.*, Al-Jizah: Ain for humanitarian and social studies and research. [In Arabic]
- Gandler, D., (2007). *Fundamentals of semiotics*, translated by Mehdi Parsa, 2th edition, Tehran: Surah Mehr Publications.
- Giro, B., (1998). *The science of signaling*, translated by: Manzer Ayashi, Damascus: Dar Talas Publications. [In Arabic]
- Ibn Manzoor, M., (1993). *Lesan al-Arab*, 3th edition, Damascus: Dar Sadir Publications. [In Arabic]
- Khalaf Kamel, E., (2003). *Al-Tijah al-Simology and poetry criticism*, Egypt: Dar al-Farha Publications. [In Arabic]
- Maoush, S., (2006). *Badr al-Shaker al-Sayyab*, 1th edition, Beirut: Bejson Institute. [In Arabic]
- McQueen, J., (1993). *Al-Musoah al-Mostala al-Annagdi*, translated by: Abd al-Wahed al-Lalluah, 1th edition, Beirut. [In Arabic]
- Meftah, M., (1992). *Analyzing the poetic speech*, 2th edition, Beirut: Al-Marqas Al-Arabi Publications. [In Arabic]
- Shovali, J., (2007). *A Dictionary of Symbols*, translated by Soudabeh Fazaeil, 1th edition, Tehran: Jihoun Publishing House. [In Persian]
- Mousavi S M. (2021). Canonizing Shahnameh in Early Modern Iran: A Historical-Semiotic Approach [In English]. *JSAL*. 4 (2), 183-200.
- Waiss, M., (2005). *Al-Enziah men Manzoor al-Derasat al-Uslobiya*, 1th edition, Beirut: Majd Press Publications. [In Arabic]